الأبعاد الدلالية للتشكيل الرمزي في قصيدة "تن هنان وخيام البدء" لمبروك بالنوي*

The semantic dimensions of symbolism in the poem "Tin HinanwaKhiyam al Bada" of MabroukBennoui

طالبة دكتوراه/ عباس سليمة
أستاذ التعليم العالي/ علي دغمان

قسم اللغة والأدب العربي -جامعة الوادي(الجزائر)

مخبر التكامل المعرفي بين علوم اللغة العربية وآدابها والعلوم الاجتماعية، جامعة الوادي.

abbas-salima@univ-eloued.dz

تاريخ الإيداع: 2023/10/01 تاريخ القبول: 2024/07/11 تاريخ النشر: 2024/09/15

ملخص:

لجأ الشعراء المعاصرون إلى استخدام الرمز باعتباره تجربة جديدة، وتعبيرا فنيا، وصورة شعرية؛ فهو يملك القدرة على الإيحاء. والرمز في مفهومه يعني التعبير عن شيء بشيء آخر، باعتماده على الإشارة والتشابه؛ حيث يكون للرمز معنى ظاهري وآخر باطني يكتشف من خلال القراءة والتحليل، وينطلق الرمز من الواقع ثم يتجاوزه ؛فهو عمق الواقع ودلالته الغامضة. وقد زخرت قصيدة " تن هنان و خيام البدء " لـ(مبروك بالنوي) برموز عدة مما أغرانا لدراستها في محاولة للكشف عن القيم الإبداعية فيها، وذلك بالوقوف على أبرز عناصرها وهو الرمز، ومن ثم معالجته من جهة المفهوم والنوع والتشكيل وأبعاده الدلالية.

الكلمات المفتاحية: الدلالة؛ الرمز؛ قصيدة تن هنان وخيام البدء؛ مبروك بالنوي.

Abstract:

Contemporary poets have resorted to the using of the symbol as it is a new experience, an artistic expression, and a poetic image, and has the ability of allusion. In this line, the concept of symbolism refers to the

expression of something through another thing relying on the allusion and similarity. The symbol has an explicit meaning and an implicit one that can be figured out through reading and analysis. The symbol starts from the reality and then exceeds it, as it is the depth of the reality and its vague connotation. Based on what has been said, the poem "Tin HinanwaKhiyam al Bada" of MabroukBennoui is full of symbols. Therefore, this study aims at revealing the creative values in this poem through shedding light on its symbols that make the main elements, and then covering the concept, type, form, and semantic dimensions of the symbols.

key words: The connotation, The symbol, The poem Tin HinanWaKhiyam al Bada, MabroukBennoui.

مقدمــة :

عرفت القصيدة الجزائرية المعاصرة تحولات في شكلها ومضمونها على غرار القصيدة العربية، فقد تجاوزت أفق الشعرية المعروفة وتجددت وسائلها الفنية و التعبيرية، فوردت القصيدة محملة بالكثير من الأبعاد الدلالية التي تخفي الكثير من المعاني المتعددة والممكنة والتي تفهم من خلال سياقها؛ وقد اتسمت بالغموض الذي هو من أبرز الملامح الجديدة في تشكيلها.ويعد الرمز أهم أدوات الغموض الشعري التي لا يمكن الاستغناء عنه في الإبداع، فهو مرتبط بالتجربة الشعورية التي يعيشها الشاعر، ويعتمد أيضا على السياق الذي يستخدم فيه؛ فالرموز مستخلصة من الحياة البشرية ويمكن اعتبارها مفاتيح لفهم طبيعة الإنسان ووسيلة للتواصل والتعبير، وهو مرتبط أيضا باستخدام الشاعر أو المبدع ويختلف من شاعر لآخر ومن عرف إلى آخر حسب الفكرة التي يريد صاحبها إيصالها إلى القارئ،لأنه مرتبط أيضا بمخيلة الكاتبومختلف الأحداث التي تدور حوله.

وقد وقع اختيارنا على قصيدة تن هنان وخيام البدء، من ديوان من أغاني الطاسيلي لمبروك بالنوي للكشف عن خبايا البعد الرمزي. واعتمدنا سيمياء التأويل؛ لأنها إجراء تطبيقي يكشف عمّا تخفيه الرموز، وعن مقصودية الاستخدام ورغبة منا في استكناه ما يريد الشاعر إيصاله للمتلقي، ومحاولة منا لاستجلاء الرموز في قصيدتنا انطلقنا من إشكالية هدفها الكشف عن حقيقة الرمز

الشعري، وأشكال تداوله ومعرفة الخبايا التي يحملها النص والبحث عن البنيات العميقة الكامنة وراء تلك الرموز، وذلك ما دفعنا إلى طرح بعض التساؤلات ومحاولة الإجابة عنها وهي:

إذن ما الرمز؟ ما الفرق بين الرمز والصورة الشعرية؟ وما أنواع وأشكال الرمز؟ وما الداعي من ارتكاز الشاعر المعاصر وخاصة الشاعر مبروك بالنوي على الرمز الشعري في قصيدته تن هنان وخيام البدء؟

ومن الدراسات السابقة التي عالجت نفس الموضوع نجد مقال بعنوان "تجليات الرمز في الشعر المعاصر، قصيدة في القدس أنموذجا" في مجلة القارئ للدراسات الأدبية والنقدية، ومقال "الرمز في الشعر العربي الحديث" في مجلة حوليات ، أيضا مقال بعنوان "توظيف الرمز في الشعر العربي الحديث والمعاصر" في مجلة الآداب والعلوم الانسانية.

وللتعرف على كيفية تشكيل الرمز في القصيدة وجب علينا تسليط الضوء على مفهوم الرمز الذي هو ظاهرة من الظواهر الأدبية .

1- مفهوم الرمـــز :

وجد الشاعر ‹مبروك بالنوي› نفسه محاطا بقيم وعادات وتقاليد وأحكام لا يمكن ولا يجوز له تجاوزها؛ فأصبح لزاما عليه إيجاد مخرج تجاه واقعه المتأزم، واتخذ من الرمز وسيلته للتعبير عن أحاسيسه وحالته النفسية بعيدا عن المباشرة، فحاول دفع القارئ إلى أعماق النص واستنزاف الدلالة.

إذن ما الرمز ؟

يتسم الرمز بنوع من الغموض ويعود ذلك إلى اختلاف الأنماط الثقافية والخلفيات التي ينطلق منها، فيفسر بحسب طبيعة الكاتب وبيئته، لذلك تعددت واختلفت مفاهيمه عند النقاد، فهو قائم على الإيحاء وتعدد الدلالات وتنوعها، وقائم أيضا على عدم المباشرة والتصريح بأفكار المبدع.

يتأسس الرمز على علاقة اعتباطية بين الدال و المدلول؛وغالبا ما تكون الصلة بين الدال والمدلول غير موجودة، فيعتمد الرمز هنا على ما تم التواضع عليه في المجتمع كما يعتمد على الغموض والإشارة بدل الوضوح والمباشرة، والرابط الأساسي بين الدال ومدلوله هو وجه الشبه بينهما، فمثلا وجود الميزان وتعادله يوحي على وجوب العدل بين الناس، فالاشتغال هنا يكون على الدلالات العميقة، وعلى قدرة المتلقي على التأويل فـ«الرمز، كما يقول يونغ، وسيلة إدراك ما لا يستطاع التعبير عنه بغيره، فهو أفضل طريقة ممكنة للتعبير عن شيء لا يوجد له معا أي معادل لفظي، هو بديل من شيء يصعب أو يستحيل تناوله في ذاته »[1]، يعتمد الرمز على الدلالة فهو وسيلة للتعبير عمّا يدور في مخيلة المبدع؛ وهو لغة خاصة قد لا يستطيع البعض فهمها إلا من خلالالتعمق في إدراك مقصودية الشاعر، فالرمز الشعري وسيلة إيحاء كما هو وسيلة تعبير جمالي،كما هو أيضا انفتاح متعدد على الدلالات، والمعروف أن لغة الرمز تبدأ وتنطلق من الغموض وتنتهي بعدد لا متناهي من الدلالات، تذهب بالقارئ إلى أعماق النص لاكتشاف المقصود ومعرفة مراد المبدع من وراء تخفيه بالرمز.

ويرى "يونغ" أيضا : « أن الرمز لا يناظر أو يلخص شيئا معلوما، إنما يحيل على شيء مجهول نسبيا، فليس هو مشابهة و تلخيصا لما يرمز إليه، و إنما هو أفضل صياغة تمكنه لهذا المجهول النسبي»[2]، يعتمد الرمز على الإحساس الداخلي والعرف الاجتماعي ويعتمد أيضا على الإيحاء لشيء خفي عن طريق الإشارة، فيحاول الشاعر التعبير عن حالته النفسية وواقعه ومجتمعه ، في حين قد تعجز اللغة أحيانا عن التعبير بطريقة مباشرة؛ فتذهب لتوظيف الرمز للتعبير عن مرادها خاصة إذا تعلق الأمر بقضية تمس وجدان وشعور الشاعر وأحاسيسه ومواقفه الشخصية اتجاه قضايا مجتمعه ودينه وعقائده، فالرمز شكل من أشكال التعبير التي تحمل القارئ على التأويل لأن الرمز هو تجاوز الواقع والتعبير عن التجربة الإنسانية والشعورية.

2- الرمـز و الصـورة الشعريـة :

الرمز سمة مهمة من سمات الشعر المعاصر اعتمده الشاعر ‹مبروك بالنوي› للتعبير عمّا يخالج نفسه، فالرمز يرفض الوضوح الذي قد يأخذ به إلى اللغة النثرية،ويعتمد الغموض الذي

يتطلب جهدا وإمعانا في معانيه ومقصوديته، رغبة منه في تحريض القارئ على الغوص في أعماق اللغة، ويمكن القول إنّ الرمز هو امتداد للصورة الذهنية في مخيلة مبدعنا، وهو ما يتيح لنا التأمل والذهاب بعيدا عن طريق الفكر والخيال، فهو المعنى الذي يتكون في أذهاننا بعد القراءة وفهم المعاني، كما هو الحال بالنسبة إلى الصورة الشعرية، فهي ارتباطا وثيقا بالخيال متجاوزة بذلك حدود الواقع وضوابطه وأحكامه، كما هو الحال بالنسبة إلى الرمز الذي يتجاوز الواقع معبرا عن مكنونات النفس بطريقة غامضة تفهم من خلال التأويل، ويختلف التأويل من شخص إلى آخر وهذا ما ينتج عنه تعدد الدلالات وتنوعها واختلافها،« ولما كان الرمز من أهم الظواهر التعبيرية في القصيدة الحديثة، فإن طبيعة التشكيل بينهما ظلت متداخلة بحيث يتعلق نجاح الرمز بنجاح الصور أو فشلها»[3]، والمفهوم أن العلاقة بين الرمز والصورة هي علاقة تكامل، فالصورة جزء لا يتجزأ من الرمز؛ والرمز صورة أو مجموعة من الصور لأن كليهما يعتمد على التعبير عن خلجات النفس وأغوارها بعيدا عن ضوابط الواقع التي قد تشكل عائقا أمام المبدع؛ «فالرمز –مثلا – يعطي الصورة الشعرية بعدا دلاليا لا متناهيا، ويكسبها حيوية وحركة، ويخرجها من اللون الغنائي إلى الشكل الدرامي، المتماشي مع طبيعة الذات المعاصرة ومع مسيرة الواقع»[4] ، بتعدد دلالات وإيحاءات وقراءات الرمز تزداد الصورة شاعرية وجمالية مما يزيد القصيدة تأثيرا في القارئ والمتلقي، لذلك يمكن القوم أن علاقة الصورة بالرمز علاقة انتماء ويمكن للصورة أن تتحول إلى رمز في حال انتقلت من بنائها البسيط إلى بناء مركب،والقصيدة رحلة وصفية مرتبطة بخيال المبدع يختزل فيها تجاربه وتجارب مجتمعه في أشكال رموز، وهذا ما تبحث عنه قصيدة تن هنان وخيام البدء.

تحدث "محمد فتوح أحمد" في كتابه الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، واصفا علاقة الرمز بالصورة الشعرية فقال : «كلا من الرمز والصورة يعتمد على التشابه بين الصورة وما تمثله، والرمز وما يوحي به، ولكن بينما تظل الصورة على قدر من الكثافة الحسية، يبلغ الرمز درجة عالية من الذاتية والتجريد يصبح معها طبيعة منقطعة، مستقلة بحد ذاتها، وليس من علاقة بينه وبين الشيء المادي إلا النتائج»[5]، فاستخدام الرموز يؤدي إلى كثرة الدلالات والإيحاءات وانفتاح النص على العديد من القراءات كما هو الحال بالنسبة إلى الصورة الشعرية، وتبقى العلاقة بين المشبه

والمشبه به علاقة اعتباطية لا وجود لعلاقة بينهما، فـ ‹مبروك بالنوي› يستخدم الرموز والصور حسب ما تستدعيه حاجته النفسية والشعورية التي تختلف بينه وبين بقية الشعراء، ومن مجتمع إلى آخر، ومن عرف أيضا إلى آخر، «وإنما يلجأ المبدع إلى الصورة الرمزية بتوجيه من تجربته الشعورية المضطربة التي لا يمكن التعبير عنها إلا بالصورة الرمزية دون غيرها»[6]، حيث يعتبر الرمز هو ملجأ الشاعر الوحيد الذي يمارس فيه إبداعه بحرية ودون قيود؛ فيكتب معبرا عن أحاسيسه ومشاعره مستغلا ذلك القناع الذي يخفي وراءه نفسه المرتبكة، وهذا ما تحققه الصورة الشعرية أيضا «فالصورة يمكن استثارتها مرة على سبيل المجاز لكنها إذا عاودت الظهور بإلحاح ... فإنها تغدو رمزا، والمقصود تلك الحدود الدقيقة والقطعية بينهما لا أن تعد كل صورة رمزا، فالرمز أحد وجوه الصورة الشعرية، وقد تخلت عن الانفعال المباشر، وأصبحت رؤية ملحة تبدأ من الواقع، وتعتمد الترجيع والإصرار والإلحاح»[7]، فلا يمكن الفصل بين الصورة الشعرية والرمز فكليهما يعتمد الخيال والتشابه والتعبير عن باطن النفس، وكلاهما بعيد عن المباشرة فهما يتسمان بالغموض ينطلقان من الواقع ويصورانه حسب ما تستدعيه الحاجة الشعورية.

3- أنواع الرمز في قصيدة تن هنان وخيام البدء لمبروك بالنوي :

أصبح الرمز ظاهرة فنية من ظواهر القصيدة المعاصرة ولا تكاد تخلو قصيدة منه؛وقد زخرت قصيدة "تن هنان وخيام البدء" بالعديد من الرموز، لأنها وسيلة مهمة من وسائل التصوير الفني في الشعر المعاصر، وقد عرف الرمز أنواعا كثيرة متباينة ومختلفة نذكر منها :

أ-الرمـز الديـني : لا تكاد تخلو القصيدة الجزائرية المعاصرة من حضور الشخصيات، أو الأمكنة، أو الأحداث، أو الطقوس الدينية؛ للربط بين الحاضر والماضي وللتعبير عن مواقف محددة، حيث تعتبر الرموز الدينية مهمة جدا في النص الشعري لتحديد مواقف الشاعر الخاصة وعقائده، فهذه الرموز فضل كبير في إثراء التجربة الشعرية،وتوظيف الرموز الدينية يضفي على قصيدة "تن هنان وخيام البدء" شاعرية ويزيدها مصداقية وقوة، وقد وجد الشاعر ‹مبروك بالنوي› في استخدام الرموز وسيلة للتعبير عن نفسه وتجربته وتجسيدا لمواقفه وأفكاره.

* **بئر زمزم** : البئر رمز للحياة والموت، رمز للعطش والارتواء، وبئر زمزم آية من آيات الله وله مكانته الروحية عند المسلمين فماؤه مبارك وهو من أعظم المعجزات التي عرفها الإسلام، يقول الشاعر:

«أُعِيدُ لِهَذَا الْبِئْرِ مَاءَمَوَاجِدِي فَتَشْرَبُنِي هَذِي الْعَوَالِمُ زَمْزَمَـــا»[8]

لقد اعتبر الشاعر كلماته شافية كماء زمزم تعيد للشعر العربي أمجاده بعدما طاله من تغيرات اعتبرها هزت مكانته وأضعفته ؛ فهو يجلس وحيدا منتظرا محبوبته لتعود معها كلماته وشعره الذي يعتبرها بلسما شافيا، ويعود توظيفه لرمز بئر زمزم إلى طبيعة تكوينه فهو يعيش في بيئة مسلمة،وهذا البيت من بحر الطويل لتناسبه مع تضاريس بيئته ودينه.

***النـــار** : تمثل النار رمزا مهما في الشعر العربي المعاصر وهي متعددة الدلالات بحسب استخدام المبدع لها؛ فهي عنصر من عناصر الحياة، وهي الضوء، والاحتراق، والخطر، وهي مرتبطة بالطقوس الدينية في بعض المعتقدات البدائية، وهي تمثل العقاب أيضا، وقد استخدمها الشاعر حيث قال :

«بِعَيْنَيْكِ حُلْمٌ قَدْ تَنَوَّرَتْ فَقُلْتُ امْكُثِي آنَسْتُ دِفءَمُضْرَمَـــا
نَـــــارُهُفَنُودِيتُ هَمْساً رَنَّ مِنْ جَانِبِ هُنَا تَقِفُ الجَدَّاتُ يَنْسُجْنَ مَوْسِمَـــا قِرىً
الرُّؤَى نَصَبْنَ خِيَامَ القَلْبِ بَدْءاً، مَدَدْنَـــهُ و اشْتَعَلْنَ الآنَ نُوراً فَأَلْهَمَـــــا
فَقُلْن اقْتَرِبْ أُمْدُدْ يَدَيْكَ وَلَا تَخَفْ سُرىً وَاقْتَبِسْ مَا شِئْتَ فَالرَّبُ أَنْعَمَا»[9]

في هذه الأبيات يصور الشاعر معاناته بمعجم ناري تجسد في "النار، الدفء، الاشتعال، النور، القبس"، بالإضافة إلى التناص مع القرآن الكريم في قوله تعالى :﴿إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوٓاْإِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّيٓ ءَاتِيكُم منْهَا بقَبَسٍ أَوْ أَجِدَ عَلَى النَّارِ هُدًى﴾ ، الآية 10 سورة طه، وهي قصة حدثت مع النبي موسى، والشاعر رأى الحلم في عيني حبيبته فشبهه بالنار المشتعلة التي أراد أن يأخذ منها قبسا ينير به حياته؛ ذلك النور الذي رأى فيه حياته وإزاحة الظلام عن قلبه، وهو تعبير عن مشاعر راقية وعواطف جميلة أراد الشاعر البوح بها من خلال هذا التشبيه، وهذه الأبيات من بحر الطويل لتناسبها مع حالة الشاعر واندفاعه نحو أحلامه وطموحاته.

***مريم العذراء:** ترمز هذه الشخصية إلى العفاف والطهر والامتثال إلى أمر الله عز وجل، والطاعة،والقداسة، والإيمان، والصبر، وقصتها مذكورة في قرآننا الكريم في سورة آل عمران، وسورة مريم،وهي أيضا ترمز إلى الشرف والنسب الرفيع والصلاح، ولمريم مكانة رفيعة عند المسلمين، وقد وظفها الشاعر في هذه القصيدة حيث قال:

«بَكَتْهَا مَزَامِيرُ الْهَوَى، عِنْدَ مَتْنِهَـا تَشُدُّ لِجِذْعِ النَّخْلَةِ الآنَمَرْيَمَـا»[10]

يستحضر الشاعر في هذا البيت شخصية السيدة مريم والدة نبي الله عيسى عليه السلام، للدلالة على إيمانه القوي وللدلالة أيضا على صمود التاريخ أمام ما يحدث من تشويه وتحريف لأحداثه وشخصياته المعروفة،وتوظيف الشاعر لهذه الشخصية يعود أيضا للدلالة على سعي الإنسان العربي من أجل الحفاظ على كرامته وأصالته وحريته، واحترام عقائده ودينه، وأيضا دلالة على تشبث الشاعر الكبير بدينه الإسلامي بكل ما جاء به من تعاليم وشخصيات.

***الوشم:** يعتبر الوشم رمزا من رموز التراث فقد وظفه الشعراء في قصائدهم منذ العصر الجاهلي، وهو جزء لا يتجزأ من ثقافة الشعوب العربية؛فالوشم هو المرأة والمكان والحضارة والدين،وفي ديننا الإسلامي يعتبر الوشم من المحرمات، وقد استخدمت بعض المناطق الوشم لتشويه المرأة خلال فترة الاستعمار الفرنسي حرصا منهم على حمايتها،والوشم عند الأمازيغ مرتبط بمعتقداتهم ويهدف إلى إبعاد الأرواح الشريرة عن الإنسان، وقد وظف الشاعر مبروك بالنوي الوشم في هذه القصيدة، فقال:

«وَتَسْتَقْرِئِينَ الوَشْمَ، بَعضُ خُطُوطِهِ حُظُوظٌ تَنَدَّى الحَرْفُ مِنْكِ تَوَشُّمَا»[11]

وظف الشاعر مبروك بالنوي كرمز للتعريف بالمرأة الصحراوية، فللمرأة التي تنتمي إلى قبائل الطوارق القدرة على استقراء خطوط الوشم حتى صار الوشم أفصح من الحرف في نظر الشاعر.

***التيمم:** يقوم التيمم مقام الماء في الدين الإسلامي، ويلجأ إليه المسلم في حال تعذر وجود الماء الكافي للوضوء أو لعلة قد تصيبه تمنعه من استخدام الماء،وهو رمز للطهارة والنقاء،ورمز للمحافظة على الصلاة في شتى الظروف، وقد وظف الشاعر التيمم، فقال:

«يَلُومُونَنِي قَوْمٌ عَلَى حَرْفِ بِدْئِنَا وَمَنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً لِذَمّي تَيَمَّمَا»[12]

وظف الشاعر التيمم كرمز لقلة ما يجده من يريد ذمه من سلبيات في شخصه، فهم يلومونه على أمور لا وجود لها أساسا،وينبشون وراءه علّهم يجدون عثرة من عثراته فهو المحب للغته العربية المتقن لها والغيور عليها، والمحافظ على أصالتها، وشبه ندرة أخطاءه بالمتيمم الذي لم يجد الماء.

وكل هذه الرموز تعود بنا إلى ثقافة الشاعر الدينية التي يعود في كل مرة ليبينها لنا، والهدف منها شد ذهن المتلقي إلى تلك الرموز و الأحداث الدينية.

ب-الرمـز الطبيعي : تواصل الطبيعة منذ القدم وإلى الآن دورها كمصدر إلهام للشاعر ‹مبروك بالنوي› فلجأ إلى استخدامها وتوظيفها نظرا لوجود تشابه معها في الأحاسيس والصفات؛ والشعراء«اعتادوا أن يرمزوا بالمطر إلى الخير والتغيير والثورة، واعتادوا أن يرمزوا بالقحط والجفاف والخراب إلى القهر والتسلط والعبودية، وبالصحراء يرمزون للخواء الروحي والفقر المادي، وبالأغنية يرمزون إلى الشعر الصادق الذي يتم توظيفه في معركة الحياة»[13]، فالشاعر مبروك بالنوي يستلهم دلالات جديدة من الرموز الطبيعية ويستخدمها حسب حاجته الشعورية وحاجة أفراد مجتمعه وكل القضايا التي لا يمكنه التحدث عنها مباشرة، والمتصفح لقصيدة "تن هنان وخيام البدء" يجدها زاخرة بالرموز الطبيعية،ونذكر منها:

* **الليـل** : وظف الشاعر ‹مبروك بالنوي›الليل مرات عديدة في هذه القصيدة حيث قال :

«أَلَا أَوْقِدِي جُرْحِي إِذَا اللَّيْلُ خَيَّمَا وَأَنْ أَمْطِرِي قَلْبِي إِذَا الأُفْقُ غَيَّمَـا»[14]

يقول أيضا :

«فَهَا قَدْ أُرِيقَ الآنَ لِلَّيْلِ رَفْـدُهُ وَأَبْلَجَ صُبْحِي يَسْتَرِيحُ بِمَـــا كَمَى»[15]

ركز الشاعر على رمز الليل وكرره بصورة تلفت الانتباه في هذه القصيدة محاولا تجاوز اللغة العادية التي تعجز عن التعبير عن أحاسيسه، واختار الإيحاء ليعطي مساحة واسعة للتأويل، وصورة الليل حاضرة في الشعر منذ القدم؛ فقد ارتبطت دلالته بالشعور بالوحشة والبؤس وهبوط الليل دليل على هبوط الأحزان والهموم؛ وهو أيضا نهاية الصراع بعد النهار الطويل، وهو

كذلك السهر و المناجاة عند العشاق، وقد استخدم الشاعر الليل هنا للتعبير عن معاودة شعوره بجرحه كلما حل الليل من جديد فهو بالنسبة إليه رفيق الألم والجراح يقاسمه حزنه وأوجاعه، وتلك الهموم والأحزان والآلام لا تتركه إلا إذا انجلى ذلك الليل الطويل فهو لا يحس بالراحة إلا عند انبلاج الصبح ، وتوظيف الشاعر لرمز الليل دليل على ارتباطه بالبيئة الصحراوية فهو ابن الصحراء التي تعرف بليلها الساحر، والأبيات من بحر الطويل تأتي لتتناسب مع طول ليل الشاعر والأرق الذي يلازمه.

* **المطر و الغيث** : المطر والغيث رمزان للخير،والحياة،والنقاء، والطهارة، والراحة، والسلام، كما يمكن أن يرمز المطر أيضا للخراب، والغضب، والكآبة،والشاعر وظف اللفظتين وفق ما تستدعيه الحاجة، فقال في البيت الأول :

«أَلَا أَوْقِدِي جُرْحِي إِذَا اللَّيْلُ خَيَّمَا وَأَنْ أَمْطِرِي قَلْبِي إِذَا الأُفْقُ غَيَّمَا»[16]

يكون المطر رمزا للفناء إذا هطل بغزارة شديدة؛ وهذا ما حاول الشاعر‹مبروكبالنوي› الإيحاء به فكلما حلّ الليل زادت جروح قلبه و تضاعفت آلامه فهو يشعر أن قلبه يتحطم ويموت كلما لاح الظلام في الأفق فتزداد مواجعه وينهض جرحه فكلما حل الظلام شعر باقتراب نهاية حياته، وقد طلب الشاعر من محبوبته أن تمطر قلبه وهذا راجع إلى بيئة الشاعر الصحراوية التي تعاني شح الأمطار، فالمطر في الصحراء يعبر عن حال الشاعر بدقة وهذا ما أراد ايصاله للقارئ، وهذا البيت من بحر الطويل ليبين معاناة الشاعر وانتظاره الطويل فسبب جرحه طول لياليه.

يقول الشاعر :

«أَطُلِّي فَدَاكِ الْقَلْبُ رُوحاً وَغَيْمَةً إِذَا جَـــادَكِ الْغَيْثُ الْمُعَتَّقُ أَوْ هَمَى»[17]

اعتبر ‹مبروك بالنوي› قدوم محبوبته كالغيث حاملا للخير والعطاء و الخصب، فمن شدة فرحه بقدومها يعطيها قلبه دون تردد واعتبرها الدواء الشافي الذي يداوي كل جراحه وآلامه، فالوصال بعد طول الصبر على الفراق كالغيث الذي ينزل على الأرض بعد طول انقطاع .

***الصبح** : هو البدايات الجديدة والنور والضوء والأمل والتجدد والطاقة وانتهاء الليل الطويل وبطلوع الصبح تنجلي الأحزان والآلام، يقول الشاعر فيه :

«فَهَا قَدْ أُرِيقَ الآنَ لِلَّيْلِ رَفْـــــدَهُ وَأَبْلَجَ صُبْحِي يَسْتَرِيحُ بِمَـــا كَمَى»[18]

فالصبح عند الشاعر هو الراحة بعد الليل الطويل، فبحلول الصبح ترتاح نفسه مما عانته ليلا فتغادر أوجاعه و تختفي همومه ضاربة له موعدا آخر في الليلة المقبلة، إن الصبح عند الشاعر هو البداية الجديدة و الأمل الذي لا يفارقه فكلما أطل الصبح عاوده الأمل في لقاء محبوبته صاحبة الثغر الباسم، وبحر الطويل هو الأنسب لوصف حال الشاعر وانبلاج الصبح بعد طول الليل.

***النخلة:** شاعرنا ابن الصحراء، والنخلة جزء لا يتجزأ من طبيعتها، وهي تحمل العديد من الدلالات كالعطاء،والخير، والشموخ، والصبر،والانتماء، والقوة، والتحمل،والثبات،كما يمكن أن يرمز للمرأة أيضا بالنخلة، وهي أيضا رمز للعروبة والأصالة،يقول الشاعر مبروك بالنوي:

«بَكَتْهَا مَزَامِيرُ الهَوَى، عِنْدَ مَتْنِهَـا تَشُدُّلِجِذْعِ النَّخْلَةِ الآنَمَرْيَمَا»[19]

أبدع الشاعر مبروك بالنوي في توظيف النخلة هنا كرمز للقوة والعطاء،فقد لجأت مريم إلى النخلة وتمسكت بها دونا عن سائر الأشجار لما تحمله من مصدر للقوة والثبات، لتعطيها القوة التي تعينها على ولادتها بنبي الله عيسى عليه السلام،وربما أراد الشاعر من هذا التوظيف تمسكه بقوة بتاريخه وأصالته.

وقد وظف الشاعر العديد من الرموز الطبيعة الأخرى كالنجوم، والكواكب، والكهوف، والأفق، والغيم، والشجر، والنور، والنار، وهذا للدلالة على احتكاك الشاعر الدائم بجميع عناصر الطبيعة.

ج-الرمــز التاريخي : وهو استخدام أحداث أو شخصيات تاريخية رموزا باستطاعتها التعبير عن ما يريده الشاعر فيستقي من الماضي حاضره، فالشاعر‹مبروك بالنوي› يتأمل الماضي وشخصياته وأحداثه فيستدعيها ويستخدمها ليزيد من فنية وجمالية شعره رغبة منه في التأثير في القارئ، ورغبة منه في خلق انسجام وتناسق بين الماضي والحاضر،«فالشاعر يختار من شخصيات

التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي»[20] ، وقد وظف الشاعر في هذه القصيدة العديد من الشخصيات والأماكن التاريخية ليزيد من مقروئية القصيدة، نذكر منها:

***فرعون:** رمز القوة والعظمة والحضارة المصرية العظيمة، وهو أيضا رمز التجبر والظلم والطغيان،وقد وظفه الشاعر هنا للمفاخرة والمفاضلة بين أصله وحضارته وبين حضارة فرعون، فقال:

«حَمَلْتُ إِلَى فِرْعَوْنِ مِصْرَ حَضَارَتِي يُرَتِّلُهَا شِشْنَاقُ عَصْراًمُؤَمَّمَـا»[21]

لطالما كان فرعون رمزا للطغيان والجبروت والظلم والكفر، لكن الشاعر ذكره هنا للتباهي بالحضارة الإسلامية واللغة العربية و أصالة الصحراء، حتى لا تكاد تظهر حضارة الفراعنة أمامها، وششناق: أو الملك شنشنق الأول، مؤسس الأسرة الثانية والعشرين الفرعونية، بربري الأصل بحدود 950 ق.م.

***العمامة:** العمامة هي غطاء يوضع فوق الرأس، ولها مكانة رفيعة عند العرب والأمازيغ منذ القدم، فهي رمز الشرف، والرفعة،والوقار،والأدب،والزي الرسمي لمجالس العلم والدين، وهي أيضا رمز للفروسية وما زالت العمامة تستخدم إلى يومنا هذا عند الطوارق، يقول مبروك بالنوي في هذه القصيدة:

«أَعِيدِي عَلى القَوْمِ اسْتَرَابُوا عَمَامَتِي كَأَنْ لَمْ يَرَوا قَبْلِي نَبِيلاً مُعَمَّمَا»[22]

العمامة عند مبدعنا رمز النبل والعروبة،رمز افتخاره بأصالته ونسبه العريق، وهو يستغرب من الناس الذين ارتابوا من شكله بالعمامة؛والمعروف عن الطوارق وبدو الصحراء أنهم يتعممون ويتلثمون إلى يومنا هذا،فالعمامة تعبر عن شخصياتهم وعن مكانتهم في مجتمعاتهم، والشاعر يطلب من تن هنان ملكة الطوارق أن تفسر لمن حوله لماذا هو يضع العمامة،كما كان يفعل ولدها أقهار الذي يعتبر رمز الشموخ وهو أول من وضعها من الطوارق.

***اليزيد بن معاوية والحجاج:** اليزيد بن معاوية رمز القوة والشجاعة والفصاحة والفطنة والفروسية وهو رمز للعطاء أيضا، أما الحجاج بن يوسف الثقفي فهو رمز الشجاعة والفروسية فهو قائد عسكري عرف بالقسوة في أحيان كثيرة، وقد وظف الشاعر هاتين الشخصيتين، فقال:

«وَقُولِي يَزِيــداً ظَنَّهَا أُمَوِيَّـــــةً يُعُيدُ بِهَا ٱلحَجَّاجَ فِي سِيرَةِ ٱلعَمَى»[23]

يمجد الشاعر تاريخ المسلمين فيذكر شخصيات مشهورة في الإسلام مثل اليزيد بن معاوية، والحجاج بن يوسف الثقفي، ويتحدث أيضا عن الأندلس، والخيام، و النوق التي ترمز إلى الحضارات العربية والصحراوية، أيضا يذكرالوشم الذي عرف به العرب قديما؛ والمراد من استخدام كل هذه الرموز التاريخية خاصة العربية والإسلامية للفخر بالعروبة والإسلام.

د-الرمـز الأسطـوري : عمد الشاعر ‹مبروك بالنوي› إلى استخدام الأسطورة فحولها إلى أداة فنية تزيد من جمالية بناء القصيدة وقوتها فاستحضر عوالم وحضارات وشخوص القرون البائدة من عرب ويونان وفراعنة وغيرهم؛ ولتكثيف الدلالات اسقطها على الحاضر، «إذ وجدت صدى خاصا في نفسية الأديب أو إذا وجدت بعض الومضات الغائمة في لا وعي الشاعر في بعض المعطيات الأسطورية صورتها الرمزية التي تضيئها وتنقلها إلى الشعور عندئذ فقط يتم اعتماد الأسطورة وتتحقق الصلة بين الأسطورة والتجربة الشعرية»[24]، فالأسطورة بهذا تكون جزءا مهما من قصيدة "تن هنان وخيام البدء"؛ فهي مرآة عاكسة لفكر المبدع والقناع الذي يخفي خلفه ما يريد التعبير عنه صراحة، وتوظيف الرموز الأسطورية يمنح للنص الجمالية ما يجعل القارئ يجد متعة في اكتشاف دلالاتها، وقد وظف شاعرنا الرموز الأسطورية في هذه القصيدة في عدة مواضع نذكر منها:

***تن هنان:** التي وضعها الشاعر كعنوان لقصيدته: «تين هينان (tin hinan) هي ملكة قبائل الطوارق، و قد حكمت في القرن الخامس الميلادي»[25]، وهي اسم متداول بولاية تمنراست بالجزائر، وخاصة عند أصحاب اللثام الأزرق، أو التوارق، وهي التي تشكل بالنسبة إليهم الأم الروحية التي استقرت بمنطقة الهقار وأسست سلالة التوارق، وقد حفلت القصيدة بهذا الاسم بداية من عنوانها وهو : تن هنان وخيام البدء، ثم متن القصيدة حيث يقول الشاعر :

«أَجَلْ تِنْهِنَانُ الشَّوْقِ تِلْكَ قَضِيَّتِي عَلَى لُغَتِي الأُمِّ انْحَسَرْتُ تَكَتُّمَـا»[26]

يقول أيضا :

«أَجَلْتِنءهِنَانُ الوَجْدِ ضَيَّعْتُ وِجْهَتِي وَفِي زَمَنِي يَزْدَادُ دَهْرِي تَوَرُّمَـــا»[27]

لقد جعل الشاعر‹مبروك بالنوي› من تن هنان حبيبته التي لا يشعر بالراحة إلا بوجودها؛ فهي رمز للسعادة والحب والحنان فأخذ يشكو إليها حال اللغة العربية وما آلت إليه، يشكو إليها حال البلاد والأمة الإسلامية، يشكو إليها شعوره بالضياع في هذا الزمن، يشكو إليها حال قلبه المحطم ونفسه المتعبة، فهو يرى في قربها الراحة والسعادة والتخلص من كل ما يؤرقه ويتعبه.

وقد توافرت القصيدة على رموز أسطورية أخرى كأهقار ابن تن هنان وهو أول من وضع اللثام على وجهه، ويوغرطة، وسولا، وششناق وغيرهم .

خـــــــاتمة :

توصلنا من خلال تحليلنا لهذه القصيدة إلى بعض النتائج و هي :

- حقق استخدام الشاعر مبروك بالنوي للرمز جمالية في هذه القصيدة وذلك من خلال تعبيره عن أحاسيسه ومشاعره ما جعل القصيدة تتسم بالصدق .
- يرتبط الرمز عادة بالتجربة الشعورية للمبدع وهذا ما نجح فيه الشاعر مبروك بالنوي حيث يؤثر في المتلقي والقارئ للقصيدة بصورة كبيرة .
- قدرة القصيدة الجزائرية المعاصرة على توظيف الرمز بكثافة، فالرمز خاصية لحقت ببنية القصيدة في مرحلة ما بعد الحداثة .
- التعرف على كيفية استخدام وتشكيل الرموز للمعاني.
- تمكن الشاعر الجزائري مبروك بالنوي من الاشتغال بالرمز للتعبير عن أحاسيسه وآرائه ومواقفه .
- تمكن الشاعر مبروك بالنوي من تجاوز اللغة المألوفة البسيطة إلى الكتابة والتعبير بلغة غامضة تعتمد الإيحاء والإشارة .

- للرمز أهمية بالغة في تشكيل الصورة الشعرية وإثراء الدلالة وشد ذهن المتلقي؛ ما يجعله يتفاعل بإيجابية مع النص .
- أصبح الرمز أحد أهم الركائز التي تقوم عليها الصورة في الشعر الجزائري المعاصر .

هوامش المقال

*مبروك عبد النبي بالنوي "الشاعر الصارخ" من مواليد 09 جويلية 1972 بعين صالح درس في ابتدائية بن خلدون ثم ابتدائية البشير الإبراهيمي، الاكمالي بإكمالية الأمير عبد القادر، والثانوي متقنة عبد الرحمان بن رستم وثانوية عين صالح، تحصل على شهادة منشط الشباب في مجال الموسيقى من معهد الخروبة بالعاصمة، شهادة محاسب من معهد التكوين المهني تامنغاست.

(1).مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيرت، لبنان ، 1996، ص153.نقلا عن: j.jacobi, thepsychology of jung ,p114

(2).عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس ، بيروت، لبنان، ط1، 1983، ص20.

(3).آمنة بلعلى: أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة،(دراسة تطبيقية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995،ص6.

(4).المرجع نفسه، ص6.

(5).محمد أحمد فتوح: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف ، القاهرة، مصر، ط2،1978 ، ص140.

(6).محمد علي كندي: الرمز والقناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتب الجديد المتحدة ، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص31.

(7).المرجع نفسه، ص55.

(8).مبروك بالنوي: من أغاني الطاسيلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2017، ص7.

(9).المصدر نفسه، ص7.

(10).المصدر نفسه، ص8.

(11).المصدر نفسه، ص 9.
(12).المصدر نفسه، ص10.
(13).إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للطباعة و النشر، عمان، الأردن، ط4، 2007، ص332.
(14).مبروك بالنوي: من أغاني الطاسيلي، ص6.
(15).المصدر نفسه، ص11.
(16). المصدر نفسه، ص6.
(17).المصدر نفسه، ص11.
(18).المصدر نفسه، ص11.
(19).المصدر نفسه، ص8.
(20).عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري، دار هومة ، الجزائر، ط1، 1998، ص107.
(21).مبروك بالنوي: من أغاني الطاسيلي، ص10.
(22). المصدر نفسه، ص9.
(23).المصدر نفسه، ص8.
(24).رجاء أبو علي: الأسطورة في شعر أدونيس ، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر، دمشق، سوريا، ط1، 2009، ص125.
(25).مبروك بالنوي: من أغاني الطاسيلي، ص12.
(26).المصدر نفسه، ص10.
(27).المصدر نفسه، ص10.

قـــائمة المصـــادر و المـــراجع:

1.إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة للطباعة و النشر، ط4، عمان، الأردن، 2007.
2.آمنة بلعلى: أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة،(دراسة تطبيقية)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.
3.رجاء أبو علي: الأسطورة في شعر أدونيس، دار التكوين للتأليف و الترجمة و النشر، ط1، دمشق، سوريا، 2009.
4.عاطف جودة نصر: الرمز الشعري عند الصوفية، دار الأندلس، ط3، بيروت، لبنان، 1983.

5.عبد الحميد هيمة: البنيات الأسلوبية في الشعر الجزائري ، دار هومة، ط1، الجزائر، 1998.
6.مبروك بالنوي: من أغاني الطاسيلي، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2017.
7.محمد أحمد فتوح: الرمز و الرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، ط2، القاهرة، مصر، 1978.
8.محمد علي كندي: الرمز و القناع في الشعر العربي الحديث، دار الكتب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2003.
9.مصطفى ناصف: الصورة الأدبية، دار الأندلس، بيرت، لبنان ، 1996.